مالو ضربت في طلبه آباط الابل ( ١ ) حولاً لكان قليلاً .

## « فصاحتها وبلاغتها وشجاعتها الادبية »

الفصاحة هي الابانة والظهور يقال كاتب فصيح وشاعر فصيح والبلاغة هي الوصول والانتهاء يقال كلام بليغ وانسان بليغ ويجمعهما حسن الكلام ( قال ابو هلال العسكري ) انما يحسن الكلام بسلاسته وسهولته ، وتخير لفظه ، واصابة معناه ، وجودة مطالعه ، ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه ، وتعادل اطرافه ، وتشبيه اعجازه بهواديه ، وموافقة ماخره لباديه فتجد المنظوم مثل المنثور ، في سهولة مطلعه ، وجودة مقطعه ، وحسن رصفه وتأليفه ، وكمال صوغه وتركيبه ، ومتى جمع الكلام بين العذوبة والجزالة ، والسهولة والرصانة ، والرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف وبعد من سماجة التركيب ، ورد على الفهم الثاقب فقبله ولم يرده ، وعلى السمع المصيب فاستوعبه ولم يمجه ، والنفس تقبل اللطيف ، وتنبو عن الغليظ ، والفهم يأنس بالمعروف ، ويسكن الى المألوف ، ويصغي الى الصواب ، ويهرب من المحال ، وليس الشأن في ايراد المعاني ، فالمعاني يعرفها العربي والعجمي ،

( ١ ) ضرب آباط الابل كناية عن الركض والاستعجال فان المستعجل يضرب برجليه آباط الابل لتعدو به .

والقروي والبدوي ، وانما هو جودة اللفظ وصفاؤه ، وحسنه وبهاؤه ورواءه ونقاؤه ، وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صواباً مستقيماً أما اللفظ فلا يقنع به قانع حتى يكون على ما وصفناه ( قلت ) وهذا الذي ذكره لا ينطبق كل الانطباق إلا على كلام سيد الفصحاء ، وامام البلغاء ، أمير المؤمنين (ع) ، الذي قيل فيه كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ، وشاهدي على ما أقول هو كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي رضي الله عنه من كلامه عليه السلام ، ويعجبني ان انقل كلمة العلامة الشيخ محمد عبده فيه فانها كلمة ثمينة لا يمكنني الاعراض عنها ﴿ قال ﴾ اوقف لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة صدفة بلا تعمل ، لصبته على تغير حال ، وتبايل بال ، وتزاحم اشغال ، وعطلة من اعمال فحسبته تسلية ، وحيلة التخلية ، فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملاً من عباراته ، من مواضع مختلفات ، ومواضيع متفرقات ، وكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبت ، وغارات شنت ، وأن للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ، وان للاوهام عرامة ، وللريب دعارة ، وان جحافل الخطابة وكتائب الذرابة ، في عقود النظام ، وصفوف الانتظام ، تنافح بالصفيح الابلج ، والقويم الاملج ، وتملج المهج ، بروائع الحجج ، وتقل ذعارة الوساوس ، وتصيب مقاتل الخوانس ، فما انا الا والحق

متقعس ، والباطل منكسر ، ومرج الشك في خمود وتعرج الريب في ركود ، وان مدبر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع ، احس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد فتارة كنت اجدني في عالم بعمره من المعاني ارواح عالية في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية توحي اليها رشادها ، وتقوم منها منآدها ، وتنفرها عن مداحض المزالة الى جواد الفضل والكمال ، وطوراً كانت تنكشف لي الجمل عن وجوه باسرة ، وانياب كاشرة ، وارواح في اشباح النمور ، ومخالب النسور ، وقد تخفرت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب ، فخلبت القلوب عن مواطنها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الاهواء وباطل الآراء ، واحياناً كنت أشهد ان عقلا نورانيا ، لا يشبه خلقا جسدانيا ، فصل عن المركب الآدمي ، واتصل بالروح الانساني فخلصه من غاشيات الطبيعة ، وسما به الى الملكوت الاعلى ، ونما به الى مشهد النور الاجلى ، وسكن به الى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس ، وانا كأني اسمع خطيب الحكمة ينادي باعلياء الكلمة ، وأولياء امر الامة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الارتياب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب ويرشدهم

الى دقائق السياسة ، ويهديهم طريق الكياسة ، ويرتفع بهم الى منصات الرياسة ، ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير (١)

( اذا عرفت ) هذه المقدمات فاعلم ان هـــذه الفصاحة العلوية والبلاغة المرتضوية ، قد ورثتها هذه المخدرة الكريمة ، بشهادة العرب اهل البلاغة والفصاحة انفسهم ، فقد تواترت الروايات عن العلماء وارباب الحديث باسانيدهم عن حذلم بن كثير ، قال قدمت الكوفة فى المحرم سنة احدى وستين عند منصرف علي بن الحسين ( ع ) من كربلا ومعهم الاجناد يحيطون بهم وقد خرج الناس للنظر اليهم ، فلما اقبل بهم على الجمال بغير وطاء ، وجعل نساء الكوفة يبكين وينشدن فسمعت علي بن الحسين ( ع ) يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة وفى عنقه الجامعة ويده مغلولة الى عنقه ، ان هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا ، قال ورأيت زينب بنت علي ( ع ) ولم أر خفرة انطق منها كانما تفرغ عن لسان امير المؤمنين ( ع ) ( قال ) وقد أومأت الى الناس أن اسكتوا فارتدت الانفاس وسكنت الاصوات فقالت الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الاخيار ، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختر ( ١ ) والغدر ، اتبكون فلا رقأت الدمعة ، ولا

[ ١ ] الختر بالتحريك الغدر والخديعة او اقبح الغدار .

هدات الرنة ، انما مثلكم ( ١ ) كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً ؛ تتخذون ايمانكم دخلاً ( ٢ ) بينكم ، الا وهل فيكم الا الصلف ( ٣ ) والنطف ( ٤ ) والكذب والشنف ، ( ٥ ) وملق الاماء ، وغمز الاعداء ، او كمرعى على دمنة « ٦ » او كفضة على ملحودة ، ألا ساء ماقدمت لكم انفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون ، أتبكون وتنتحبون ، إي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها ابداً ، وانى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب اهل الجنة ، وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم ، ومنار حجتكم ، ومدره سنتكم ، ألا ساء ماتزرون ، وبعداً لكم وسحقاً ، فلقد خاب السعي ، وبتت الايدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، ويلكم ياأهل الكوفة ، أتدرون اي كبد لرسول الله فريتم ، واي كريمة له أبرزتم ، وأي دم له سفكتم ، وأي حرمة له انتهكتم ، ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء ( ٧ ) سوداء فقماء ، خرقاء

( ١ ) اي لاتكونوا كالتي غزلت ثم نقضت غزلها ، يقال كانت امرأة حمقاء تغزل مع جواريها الى انتصاف النهار ثم تأمرهن ان ينقضن ماغزلن ولا يزال ذلك دأبها ( ٢ ) اي خيانة ومكراً ( ٣ ) الصلف الادعاء تكبراً [ ٤ ] النطف التلطخ بالعيب ( ٥ ) الشنف بالتحريك البغض والتنكر ( ٦ ) الدمنة ماتدمنه الابل والغنم بابوالها وابعارها « ٧ » الصلعاء الداهية ، وما بعدها

شوهاء ، كطلاع ( ١ ) الارض ، اوملاء السماء ، أفمحبتم ان مطرت السماء دما ، ولعذاب الآخرة أخزى وانتم لاتنصرون ، فلايستخفنكم المهل ، فانه لايحفزه ( ٢ ) البدار ، ولا يخاف فوت الثار ، وان ربكم لبالمرصاد ، ( قال الراوي ) فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون ، وقد وضعوا ايديهم في افواههم ، ورأيت شيخا واقفا الى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته بالدموع ، وهو يقول بابي انتم وامي كهولكم خير الكهول ، وشبابكم خير الشباب ، ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير النسل ، لايخزى ( ٣ ) ولا يبزى ( أقول ) وهذا مذلم

صفات لها في القبح والشدة « ١ » طلاع الارض ملؤها

( ٢ ) الحفز العث والاعجال ( ٣ ) لايبزى اي لايغلب ولايقهر ، وقد فهم من قولها أفمحبتم أن مطرت السماء دماً أن القوم لما رأوا قطرات الدم النازلة من السماء يوم قتل الحسين « ع » كانوا يتعجبون من ذلك ولم يلتفتوا الى فعلتهم الشنعاء ، ففي كامل الزيارة عن حكيم بن داود بن حكيم عن سلمة بن الخطاب عن محمد بن ابي عمير عن الحسين بن عيسى عن أسلم بن القاسم ، قال اخبرنا عمرو بن وهب عن ابيه عن علي بن الحسين عليه السلام قال إن السماء لم تبك منذ وضعت الا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهم السلام ، قلت اي شيء كان بكاؤها ، قال كانت اذا استقبلت بثوب وقع على الثوب شبه اثر البراغيث من الدم ، وفي ينابيع المودة ، عن ابي سعيد الخدري مارفع حجر في الدنيا الا وجد تحته دم عبيط ، ولقد أمطرت السماء دماً وبقي اثره في

ابن كثير من فصحاء العرب اخذه العجب من فصاحة زينب وبلاغتها وأخذته الدهشة من براعتها وشجاعتها الادبية ، حتى انه لم يتمكن ان يشبهها الا بابيها سيد البلغاء والفصحاء ، فقال كانها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين ، وهذه الخطبة رواها كل من كتب في رقة الطف اوفي احوال الحسين (ع) ورواها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن خزعة الاسدي ، قال ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياما يندبن منتهكات الجيوب ، ورواها ايضا ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور في (بلاغات النساء) وأبو المؤيد الموفق بن احمد الخوارزمي في الجزء الثاني من كتابه مقتل الحسين (ع) وشيخ الطائفة في اماليه وغيرهم من اكابر العلماء

ومن بلاغتها وشجاعتها الادبية ماظهر منها «ع» في مجلس ابن زياد (قال) السيد ابن طاوس وغيره ممن كتب في مقتل الحسين (ع) إن ابن زياد جلس في القصر وأذن إذنا عاما وجيئ برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه وأدخلت عليه نساء الحسين وصبيانه (١)

الثياب حتى تقطعت» وقال فيه» اخرج الثعلبي وابو نعيم انه امطرت السماء دما ، وزاد ابو نعيم فاصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دما « قال » وفي رواية أن السماء امطرت الدم على البيوت والجدران بخراسان والشام والعراق .

(١) في رواية المفيد (ره) فادخل عيال الحسين بن علي (ع) على ابن زياد فدخلت زينب اخت الحسين في جملتهم متنكرة وعليها ارذل ثيابها ومضت

وجاءت زينب ابنة علي (ع) وجلست متنكرة فسأل ابن زياد من هذه المتنكرة ، فقيل له هذه زينب ابنة علي ، فاقبل عليها فقال الحمد لله الذي فضحكم ، واكذب احدوثتكم ، (١) فقالت عليها السلام انما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا ، فقال كيف رأيت صنع الله باخيك واهل بيتك . فقالت مارأيت الا خيراً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امك يابن مرجانة

حتى جلست ناحية وحفت بها اماؤها ، فقال ابن زياد لعنه الله من هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها فلم تجبه زينب ، فاعاد ثانية يسأل عنها فقالت له بعض اماؤها هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (ص) فاقبل عليها ابن زياد فقال لها (الحمد لله الخ) .

(١) يريد بالاحدوثة دين جدها رسول الله (ص) وكانت في ابن زياد لكنة اعجمية يبدل الحاء هاء ، قال الجاحظ كانت اللكنة فيه لانه نشأ بالاساورة مع امه مرجانة وكان زياد تزوجها من شيرويه الاسواري ، وكان قال مرة افتحوا سيوفكم بريدسلوا سيوفكم ، فقال يزيد بن مفرغ

ويوم فتحت سيفك من بعيد * اضعت وكل امرك للضياع

وفي المعارف لابن قتيبة كانت في ابن زياد لكنة ، وفي كامل المبرد كان ابن زياد الكن يرتضخ لغة فارسية ، وقال لرجل مرة واتهمه برأي الخوارج أهروري منذ اليوم يريد أحروري .

فغضب الحسين وهم ان يضربها ، فقال له عمرو بن حريث انها امرأة والمرأة لاتؤاخذ بشيء من منطقها ؛ فقال لها ابن زياد لعنه الله لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من اهل بيتك فقالت لعمري لقد قتلت كهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت اصلي فان كان هذا شفاءك فلقد اشتفيت ، فقال لعنه الله هذه سجاعة ولعمري لقد كان ابوها سجاعا شاعراً ، فقالت يابن زياد مالامرأة والسجاعة وان لي عن السجاعة لشغلاً

( ومن ذلك ) خطبتها في مجلس يزيد بن معوية في الشام « ٩ » رواها جماعة من العلماء في مصنفاتهم وهي من ابلغ الخطب وافصحها علمها انوار الخطب العلوية ، واسرار الخطبة الفاطمية ، ( ٢ ) ونحن ننقلها هنا من الاحتجاج للطبرسي ( قال ) روى شيخ مصدوق من مشائخ بني هاشم وغيره من الناس أنه لما دخل علي بن الحسين (ع) وحرمه على يزيد وجيء برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه في طشت وجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده وهو يقول

ليت اشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

( الابيات ) فقامت زينب بنت علي بن ابي طالب وامها فاطمة

( ٩ ) رواها ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور في كتابه بلاغات النساء والخوارزمي في المقتل . ( ٢ ) المراد بها خطبة فدك التي قدمنا اسانيدها عنها

بنت رسول الله «ص» وقالت الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله اجمعين ، صدق الله سبحانه حيث يقول ( ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ) اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء ، فاصبحنا نساق كما تساق الاسراء ، أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة وان ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بانفك ، ونظرت في عطفك تضرب أصدريك «١» فرحا ، وتنفض مذوريك مرحا ، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ( ٢ ) والامور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلا (٣) مهلا أنسيت قول الله تعالى « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » أمن العدل يابن الطلقاء « ٤ »

( ١ ) تضرب أصدريك اي منكبيك ، وتنفض مذوريك ، المذوران جانبا الاليتين ولا واحد لهما ، وقيل هما طرفا كل شيء ، يقال جاء فلان ينفض مذوريه اذا جاء باغيا يتهدد ، وكذلك اذا جاء فارغاً في غير شغل

« ٢ » مستوسقة اي مجتمعة . ومتسقة اي منتظمة .

« ٣ » يقال مهلا يارجل وكذا للانثى والجمع بمعنى امهل ، والمهلة بالضم السكينة وكذا المهل بالسكون والحركة .

« ٤ » الطلقاء هم أبوسفيان وصفوان وبقية الامويين الذين اطلقهم رسول الله «ص» يوم الفتح فقال اذهبوا فانتم الطلقاء ، وبهذا صاروا عبيداً لرسول الله

تحدرك حوائرك واماثك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن ، وابديت وجوههن ، تحدو بهن الاعداء من بلد الى بلد ويستشرفهن اهل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ، ولا من حماتهن جمي ، وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه اكباد الاذكيا ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا اهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن ، والاحن والاضغان ، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم

لاهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنيا على ثنايا ابي عبد الله سيد شباب اهل الجنة تنكتها مخصرتك « ١ » وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة « ٢ » واستأصلت الشافة « ٣ » باراقتك دماء ذرية محمد « ص » ونجوم

( ص ) هم وذريتهم الى يوم القيمة .

« ١ » المخصرة بكسر الميم كالسوط وكلما اختصره الانسان بيده فامسكه من عصى ونحوها ، وكانت الخلفاء تحمل هذه المخصر

« ٢ » نكأت القرحة بالهمزة من باب منع كثر جراحها

« ٣ » استأصلت الشافة استأصل الشيء اذا قطعه من أصله ، قال في القاموس الشافة قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوى وتذهب ، واذا قطعت مات صاحبها والاصل استأصل الله شافته اذهبه كما تذهب تلك القرحة او ازاله من أصله .

الارض من آل عبد المطلب ، وتهتف باشياخك زعمت انك تناديهم ، فلترددن وشيكا «١» موردهم ، ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ماقلت ، وفعلت مافعلت ، اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دمائنا ، وقتل حماتنا ، فوالله يايزيد مافريت «٢» الا جلدك ، ولا جززت الا لحمك ، ولتردن على رسول الله ( ص ) بما تحملت من دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله تعالى شملهم ، ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » وحسبك بالله حاكما وبمحمد ( ص ) خصيما وبجبرائيل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك وامكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا ، وايكم شر مكانا واضعف جنداً ، ولئن جرت علي الدواهي «٣» مخاطبتك ، اني لاستصغر قدرك ، واستعظم

«١» وشيكا أي سريعاً

( ٢ ) القري القطع

( ٣ ) الدواهي جمع داهية وهي النازلة بالانسان من بلاء وغيره ، ومخاطبتك إما بالرفع فاعل جرت اي ان اوقعت مخاطبتك علي النوازل فلست ابالي بك ولا أعظم قدرك ، اوبالنصب مفعول والفاعل الدواهي اي ان اوقعتني دواهي الزمان الى الاحتياج لمخاطبتك فلست معظمة لقدرك .

تقريعك ، واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء ، بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الايدي تنطف « ١ » من دمائنا ، والافواه تتحلب « ٢ » من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل « ٣ » وتعفرها امهات ( ٤ ) الفراعل ، ولئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكا مغرما حين لا تجد الا ماقدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد ، والى الله المشتكى ، وعليه المعول ، فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا تدرك امدنا ولا تدحض عنك عارها ، وهل رأيك الا فند ( ٥ ) وايامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ، يوم ينادي المنادي الا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله رب العالمين ، الذي ختم لاولنا بالسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة انه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

( ١ ) تنطف بكسر الطاء وضمها اي تقطر .

« ٢ » في القاموس تحلب عينه وفوه اي سالا .

« ٣ » العواسل الذئاب السريعة العدو .

« ٤ » امهات الفراعل الضباع جمع فرعل وهو ولد الضبع والتعفير معلوم .

« ٥ » الفند الكذب ، وهو بالتحريك [قيل] ويقال لضعف الرأي الفند أيضاً

فقال يزيد .

ياصيحة تحمد من صوائح * ماهون النوح على النوائح (١)

ومن شجاعتها الادبية في مجلس يزيد مانقله ارباب المقاتل وغيرهم من رواة الاخبار أن يزيد لعنه الله دعا بنساء اهل البيت والصبيان فاجلسوا بين يديه في مجلسه المشوم فنظر شامي الى فاطمة بنت الحسين فقام الى يزيد وقال ياأمير المؤمنين هب لي هذه الجارية تكون خادمة عندي، قالت فاطمة بنت الحسين (ع) فارتعدت فرائصي وظننت ان ذلك جائز لهم ، فاخذت بثياب عمتي زينب فقلت عمتاه أوعمت وأستخدم فقالت عمتي للشامي كذبت والله ولؤمت ماجعل الله ذلك لك ولا لاميرك ، فغضب يزيد وقال كذبت والله ان ذلك لي ولو شئت ان افعل لفعلت ، قالت كلا والله ماجعل الله ذلك لك الا ان تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا ، فاستطار يزيد غضبا وقال اياي تستقبلين بهذا الكلام ، انما خرج من الدين ابوك وأخوك ، فقالت زينب بدين

« ١ » قوله ياصيحة تحمد « الخ » ليس هذا جواب مثل الخطبة الغراء الفريدة ومثل يزيد الذي يقال عنه إنه كان من رجال الفصاحة والبلاغة وإنه قال الشعر وهو ابن سبع سنوات لايخفى عليه ذلك لكن الخطبة الكريمة ألجمته باسلوبها البليغ، وبيانها الآخذ بالالباب ، فلم يكن قادراً على ان يجيبها بشيء سوى هذا البيت الذي وصف الحالة ليس غير

ابي واخي اهتديت انت وابوك وجدك ان كنت مسلما ، قال كذبت ياعدوة الله ، قالت يايزيد انت امير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك فكأنه استحيى وسكت ، فاعاد الشامي كلامه ، هب لي هذه الجارية فقال له يزيد اسكت وهب الله لك حتفا قاضيا ( وروى ) السيد ابن طاوس في اللهوف هذه الرواية كما يأتي ، قال نظر رجل من اهل الشام الى فاطمة بنت الحسين (ع) فقال ياأمير المؤمنين هب لي هذه الجارية ، فقالت فاطمة لعمتها زينب (ع) أوتمت وأستخدم ، فقالت زينب (ع) لاولا كرامة لهذا الفاسق ، فقال الشامي من هذه الجارية فقال يزيد هذه فاطمة بنت الحسين (١) وتلك زينب بنت علي بن

(١) فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام هي من عالمات نساء اهل البيت عليهم السلام ، تروي الحديث عن ابيها وعن ام سلمة وام هاني وعن عمتها زينب الكبرى وعن اخيها زين العابدين ، ويروي عنها ولدها عبد الله وغيره ، استودعها ابوها الحسين [ ع ] مواريث الانبياء وسلمتها الى السجاد بعد برئه من المرض ، وكان الله عزوجل صرف عن هذه المواريث ابصار الظالمين ، وام فاطمة هذه أم اسحق بنت طلحة ، وفي الخبر أن الحسن بن الحسن « ع » سأل عمه الحسين « ع » أن يزوجه إحدى ابنتيه فاختار له الحسين « ع » فاطمة هذه وقال له هي اكثر شبها بامي فاطمة بنت رسول الله « ص » وخطبها « ع » في الكوفة تنى عن أنها كانت على جانب عظيم من العلم والفضل ، وفي بعض

ابي طالب ، فقال الشامي الحسين بن فاطمة وعلي بن ابي طالب قال نعم ، فقال الشامي لعنك الله يايزيد أتقتل عترة نبيك وتسبي ذريته والله ماتوهمت الا انهم سبي الروم ، فقال يزيد لالحقنك بهم ثم امر به فضربت عنقه ، والذي يظهر ان هاتين القضيتين كانتا وقعتا في ذلك المجلس المشوم « أقول » ان بلاغة زينب «ع» وشجاعتها الادبية ليس من الامور الخفية وقد اعترف بها كل من كتب في وقعة كربلاء ، ونوه بجلالتها اكثر ارباب التأريخ ، ولعمري ان من كان أبوها علي بن ابي طالب الذي ملأت خطبه العالم ، وتصدى لجمعها وتدوينها اكابر العلماء ، وامها فاطمة الزهراء صاحبة خطبة فدك الكبرى ، وصاحبة الخطبة الصغرى التي القتها على مسامع نساء قريش ونقلها النساء لرجالهن ، نعم ان من كانت كذلك فحرية بان تكون بهذه الفصاحة والبلاغة ، وان تكون لها هذه الشجاعة الادبية ، والجسارة العلوية ، ويزيد الطاغية يوم ذاك هو السلطان الاعظم والخليفة الظاهري على عامة بلاد الاسلام تؤدي له الجزية الفرق المختلفة والامم المتباينة في مجلسه الذي اظهر فيه ابهة الملك ، وملأه بهيبة السلطان ، وقد جردت على رأسه السيوف ، واصطفت حوله الجلاوزة

الاخبار انها كانت عندها اشياء من آثار رسول الله «ص» توفيت في المدينة على الاصح ، وقيل بمصر

وهو واتباعه على كراسي الذهب والفضة ، وتحت ارجلهم النمرس من الديباج والحرير ، وهي صلوات الله عليها في ذلة الاسر دامية القلب باكية الطرف ، حرّى الفؤاد ، من تلك الذكريات المؤلمة والكوارث القاتلة قد احاط بها اعداؤها من كل جهة وثار عليها حسادها من كل صوب ، ومع ذلك كله ترمز للحق بالحق ، وللفضيلة بالفضيلة تقول ليزيد غير مكترثة بهيبة ملكه ، ولا معتنية بهيبة سلطانه ( أمن العدل يابن الطلقاء ) وتقول له ايضا ( ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك اني لاستصغر قدرك واستعظم تقريعك واستكثر توبيخك ) فهذا الموقف الرهيب الذي وقفت به هذه السيدة الطاهرة مثل لحق ثم مثلا واضاء الى الحقيقة لطلابها سبيلا ، واخجل يزيد ومن حواه مجلسه فنكس ذلك الاسلوب العالي من البلاغة ، وابهتت العارفين منهم فاخرست ، وجمع قلوبهم من الفصاحة ، فخرست الالسن ، وكلت الافواه ، وصمت الآذان ، وكهربت تلك النفس النبوية الطاهرة من عليها كلام تلك النفوس الدنيئة الرذيلة من يزيد واتباعه بكهرباء الحق والفضيلة حتى بلغ به الخبال انه صار على تكفيره وتكفير اتباعه ، ولا يتمكن من ان ينبس ببنت شفة ، يقطع كلامها او يمنعها من الاستمرار في خطابتها ، وهذا هو التصرف الذي يتصرف ارباب الولاية متى شاؤا وأرادوا بمعونة الباري تعالى لهم واعطائهم

القدرة على ذلك ، وما ابدع ماقاله الشاعر المفلق الجليل السيد مهدي ابن السيد داود الحلي عم الشاعر الشهير السيد حيدر الحلي رحمهما الله في وصف فصاحتها وبلاغتها من قصيـــــدة .

قد اسروا من خصها بآية الـ * تطهير رب العرش في كتابه
إن ألبست في الاسر ثوب ذلة * تجملت للحر في اثوابـــــه
ما خطبت إلا رأوا لسانها * أمضى من الصمصام في خطابه
وجليت في أسرها آسرها * عاراً رأى الصفار في جلبابه
والفصحاء شاهدوا كلامها * مقال خير الرسل في صوابه

## زهدها في الدنيا ونعيمها وقناعتها

الزهد في الشيء خلاف الرغبة فيه ، وزهد الانسان في الشيء أي تركه فهو زاهد ، قال الصدوق ( ره ) في معاني الاخبار الزاهد من يحب مايحب خالقه ويبغض مايبغضه خالقه ويتحرج من حلال الدنيا ولا يلتفت الى حرامها ( وقال بعض الاعلام ) الزهد يحصل بترك ثلاثة اشياء ، ترك الزينة ، وترك الهوى وترك الدنيا ، فالزاء علامة الاول ، والهاء علامة الثاني ، والدال علامة الثالث ، والقناعة الرضا بالقسمة فهي تلازم الزهد دائماً اوهما واحد بلسان الاخبار .